مجلة الإحياء، المجلد 24، العدد: 35، سبتمبر 2024، ص - ص: 267 - 276
الترقيم الدولي: 1112-4350 الترقيم الدولي الإلكتروني: 2588-2406

تعدد المعنى في التركيب الواحد في اللغة وفي التعبير القرآني

Multiple meanings in a single structure in language and in Quranic expression

د/ الحسين بركات
Hocine BARKAT
جامعة محمد بوضياف ـ المسيلة
Hocine.barkat@univ-msila.dz

تاريخ الإرسال: 2024/03/21 تاريخ القبول: 2024/07/01

الملخص:
تحاول هذه الدراسة إبراز أهمية تعدد المعنى وعلاقته بمستويات البنية اللغوية، وإظهار الحاجة إليه من خلال التطور الاجتماعي الذي ينشأ عنه بالضرورة تطور لغوي يخص دلالة الألفاظ والتراكيب والمعاني المختلفة. وذلك من خـــلال بـيان مفهوم التوسع في المعنى في اللغة العربية، وذكر أسبابه، وبعـض أغراضه، ثم بيان المواطن التي يتعدد فيها المعنى في القرآن الكريم، ومنها: الاشتراك اللفظي في معنى المفردة، والاشتراك في دلالة الصيغة، ثم الجمع بين الألفاظ والصيغ ذات الدلالات المختلفة.
الكلمات المفتاحية: تعدد المعنى؛ اشتراك لفظي؛ قرآن كريم؛ دلالة الصيغة؛ تركيب.

Abstract:
This study attempts to highlight the importance of expanding meaning and its relationship to the levels of linguistic structure, and to show the need for it through social development, which necessarily results in linguistic development related to the meaning of different words, structures and meanings. This is done by explaining the concept of expanding the meaning in the Arabic circle, mentioning its reasons, and some of its purposes, and then clarifying the places in which the meaning is multiple in the Holy Qur'an, including: the verbal association in the meaning of the singular , and participation in the meaning of the formula, then the combination of words and formulas with different connotations, as well as the omission that leads to the release and expansion of the meaning, and finally the genitive acquires the masculine and feminine character of the genitive.
Keywords: Multiple meanings; homonyms; Holy Quran; meaning of the formula; structure**.**

مقدّمة:

تتميز اللغة العربية عن باقي لغات العالم بخصائص وظواهر لغوية كثيرة ، الأمر الذي أهلها لأن تكون اللسان العربي المبين للقرآن الكريم ومن جملة خصائصها نذكر: الاشتقاق، والترادف، والمشترك اللفظي، والتوسع في المعنى، ودقتها في التعبير عن المعاني، وسعة مساحتها التعبيرية وتفوقها الفني حتى تصل إلى درجة الإعجاز. ذلك أن تعدد المعنى في التركيب الواحد ظاهرة تتميز بها لغة الضاد، وهو موضوع له أشكاله وصيغه في اللغة، وله مواطن كثيرة في القرآن الكريم من حيث تعدد المعنى في التركيب الواحد، إذ يكشف عن أسرار عجيبة من المعاني الدقيقة في ثنايا التعبير القرآني الذي أعجز البلغاء والفصحاء، كما أن موضوع التعدد في المعنى منثور في كتب اللغة والنحو في أبواب مختلفة اشتملت دراسته على جوانب منها: الاتساع بالحذف في الوظائف النحوية، والمعنى بصفة عامة.

فما هو التعدد في المعنى في اللغة العربية؟ وما أشكاله في اللغة؟ ثم ما مواطنه في القرآن الكريم؟

يأتي هذا البحث محاولة للكشف عن أهم هذه الجوانب المتعلقة بهذا الموضوع (التعدد في المعنى) خصوصا على مستوى اللفظ والتركيب وبيان مختلف الدلالات التي يوحي إليها كل تركيب على مستوى نظام العربية، وعلى مستوى التعبير القرآني.

1- مفهوم تعدد المعنى

تعدد المعنى فكرة عامة في مباحث اللغة العربية تشمل البلاغة، والنحو، والدلالة، ومفهومه في الاصطلاح: هو أن يؤتى بتعبير يحتمل أكثر من معنى، بحيث تكون كل هذه المعاني مرادة، وبمعنى آخر هو: الإتيان بعبارة تجمع معنيين أو أكثر فيوجز في التعبير ويوسع في المعنى؛ أي هو: إيجاز في اللفظ وتكثير في المعنى. ويعد التأويل من قبيل تعدد المعنى كما أشار إلى ذلك السيوطي بقوله: "هو أن يؤتى بلفظ يتسع فيه التأويل على قدر الناظر فيه وبحسب ما يحتمل اللفظ من المعاني كما وقع في فواتح السور"[1]؛ ويقول ابن رشيق في باب الاتساع في المعنى:" هو أن يقول الشاعر بيتا يتسع فيه التأويل فيأتي كل واحد بمعنى وإنّما يقع ذلك لاحتمال اللفظ وقوته واتساع المعنى، ومن ذلك قول امرئ القيس:

مِكَرٍّ مِفَرٍّ مُقْبِلٍ مُدْبِرٍ مَعًا كَجُلْمُوْدِ صَخْرٍ حَطَّهُ السَّيْلُ مِنْ عَلِ

فإنّما أراد أنّه يصلح للكر والفر، ويحسن مقبلا ومدبرا، ثم قال (معًا) أي جميع ذلك فيه، وشبهه في سرعته وشدة جريه بجلمود صخر حطه السيل من أعلى الجبل... وذهب قوم أنّ معنى قوله (كجلمود صخر حطه السيل من عل) إنّما هو الصلابة لأنّ الصخر عندهم كلما كان أظهر للشمس والريح كان أصلب"[2].

وذكر ابن هشام في كتابه (المغني) أنّ تعدد المعنى سمة عامة من سمات الاستخدام اللغوي تظهر في مستويين:

- مستوى الوظائف النحوية.
- مستوى معاني الأدوات.

ومن ذلك ما ذكره في باب (حروف الجر) نحو: (زيد على السطح) فإنّ (على) تحتمل الوجهين وهما: أن تكون حرف جر للاستعلاء، واسما ظرفا بمعنى فوق[3].

فالتعدد في المعنى في العربية هو أنّ اللفظ الواحد يؤدي عدة معان كما أنّ الجملة أيضا تحتمل عدة دلالات إذا لم توجد قرينة تخصص المعنى وتحدده، فتكون للجملة الواحدة عدة معان، وهذا بحسب التقديرات الإعرابية والاحتمالية، وهذه ظاهرة موجودة في اللسان العربي وطريقها واسع؛ فقد يعبر

بالمفرد على الجمع والعكس، أو يعبر بالمذكر على المؤنث والعكس، وقد يستخدم الجزء للدلال على الكل والعكس، وقد يكون لظاهرة نحوية ما دور معين في نشوء هذه العلاقات، والسبب في ذلك يرجع إلى المعنى أو إلى روح التركيب الذي يؤثر على معاني النّحو ووظائفه وهو كثير الاستعمال في القرآن الكريم.

جاء في الخصائص في باب (توجه اللفظ الواحد إلى معنيين اثنين) وذلك في الكلام على ضربين: أحدهما وهو الأكثر أن يتفق اللفظ البتة، ويختلف في تأويله وعليه عامة الخلاف، نحو قولهم: (هذا أمر لا ينادى وليده)، فاللفظ غير مختلف فيه لكن يختلف في تفسيره، فقال قوم: إن الإنسان يذهل عن ولده لشدته، وقال آخرون: هو أمر عظيم وإنّما ينادى فيه الرجال والجلة لا الإيماء والصبية، وقال آخرون وهم أصحاب المعاني: أي لا وليد فيه فينادى؛ وإنما فيه الكفاة والنهضة، ومنه قول الشاعر:

وَغَلَت بِهِم سَجحَاءُ جَارِيَةٌ تَهْوِي بهم في لَجَّة البَحْرِ

يكون (وَغَلَت) فعلت من التوغل، وتكون الواو أيضا عاطفة فيكون من الغليان...[4].

ومن جهة أخرى فالتعدد في المعنى هو غرض بلاغي يأتي بمعنى الإيجاز، جاء في كتاب (إتقان ما يحسن من الأخبار):" وقال بعضهم إيجاز القصر هو تكثير المعنى بتقليل اللفظ، وسبب حسنه أنّه يدل على التمكن في الفصاحة"[5]، وجاء في تفسير القرطبي: "وأما من قال أنّه الإيجاز فذلك للعرب دون العجم..."[6].

فتعدد المعنى له فوائد جمة في الاستعمال اللغوي ذكرها محمد أحمد قدور في كتابه (مبادئ اللسانيات)[7] نختار بعضا منها وهي:

- تلبية الحاجة المتجددة للدلالة على معان وأشياء تتوالد باستمرار عبر تطور الزمان وتعدد المكان واختلاف شروط الحضارة، ولا شك في أنّ استعمال الكلمات التي تدل على معاني متعددة يعبر بها عن اقتصاد لغوي يسعى إليه أبناء اللغة.
- زيادة الثروة الدلالية بحيث يتمكن العربي من إعطاء الإيحاءات المختلفة للمعاني، بمعنى تمثل المعنى وتمثيله أثناء إنتاج الخطاب أو تلقيه.
- يؤدي أيضا إلى إمكانات تنوع وتمايز الاستخدامات المتعددة للأسلوب الواحد.

2- مواطن التعدد في المعنى

للتعدد في المعنى في اللسان العربي كثير من المواطن منها: الاشتراك اللفظي في معنى المفردة، والاشتراك في دلالة الصيغة، والجمع بين الألفاظ والصيغ ذات الدلالات المتعددة، وكذلك تذكير المضاف وتأنيثه من المضاف إليه، وغير ذلك وسأقتصر على معالجة ما ذكرت من مواطن وبيان ذلك على النحو التالي:

2-1- الاشتراك اللفظي في معنى المفردة: لا جرم أنّ الاشتراك وجه من وجوه الوضع في اللغة ومضمونه: اللفظ الواحد الدال على معنيين مختلفين فأكثر على السواء؛ لأنّ الألفاظ متناهية والمعاني غير متناهية، فإذا وزعت هذه على تلك لزم الاشتراك، ومن هذه الألفاظ: العين، والخال، والهلال، والغروب، والإمام[8].

فمن ذلك مثلا ما جاء في المُزهر في علوم اللغة في معاني كلمة (العين): من معاني العين النقد من الدراهم والدنانير، ومطر أيام لا يقلع، يقال: أصاب أرض بني فلان عين. والعين عين الإنسان التي ينظر بها، وعين البئر: مخرج مائها... وعين الميزان وهو ألا يستوي، وعين الدابة والرجل: وهو الرجل نفسه والدابة نفسها، يقال: (لا أقبل منك درهما بعينه) أي لا أقبل بدلا، وهو قول العرب: لا أتبعُ أثرا بعد عين،

والعين: عين الجيش الذي ينظر لهم...والعين: الفوارة التي تفور من غير عمل،... والعين: عين النفس أن يَعِين الرجلُ الرجلَ ينظر إليه حسدا فيصيبه، والعَيْن: السَّحابة التي تنشأ من جهة القبلة، والعين: عين اللصوص[9].

ومثل كلمة (الغروب) التي تدل على غروب الشمس، وهي جمع لكلمة (غرب) بمعنى: الدلو، وتدل على الماء الذي يجري على الأسنان، وهو ماء الفم، كما تدل على الوهاد المنخفضة[10].

ومن التوسع في معاني الكلمات في الشعر ننقل ما ذكره السيوطي من أنّ الخليل قال أبياتا يستوي لفظها ويختلف معناها وهي قوله:

يا وَجَعَ قَلْبي من دَوَاعِي الْهَوَى إِنْ رَحَلَ الْجِيرانُ عند الْغُرُوب
أَتْبَعْتُهم طَرْفي وَقَدْ أَزْمَعُوا وَدَمْعُ عَيْني كَفَيْضِ الْغُرُوب
بَاتُوا وَفِيهم طِفْلَةٌ حُرَّةٌ تَفْتَر عَنْ مِثْلِ أَقَاحِي الْغُرُوبِ

الغروب الأول: غروب الشمس، والثاني: جمع (غرب)، وهو الدلو العظيمة المملوءة، والثالث: جمع (غرب) وهي الوهاد المنخفضة[11].

ونقرأ من أمثلة المشترك اللفظي لدى ابن الأنباري ما يتعلق بلفظ (الإمام) في بيت لبيد:

مِنْ مَعْشَرٍ سَنَّت لَهُمْ آباؤُهُم وَلِكُل قَوْمٍ سنَّةٌ وَإِمَامُهَا

... فمعنى لفظ (الإمام) هو: المثال. قال الشاعر:

أَبُوهُ قَبْلَهُ وَأَبُو أَبِيهِ بَنَوْا مَجْدَ الْحَيَاةِ عَلى إِمَام

معناه: على إمام، والإمام: الكتاب والرسول؛ قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُناسٍ بِإِمامِهِمْ﴾ [الْإِسْرَاء: 71] والإمام: الطريق الذي يؤتم به؛ قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُما لَبِإِمامٍ مُبِينٍ﴾ [الْحِجْرِ: 79] [12].

ومن معاني كلمة (الجارية): إحدى الجواري، والسفينة، وعين كل حيوان، وعين الماء، والشمس والبكرة.

ومن معاني كلمة (الهلال): غرة القمر حين يهلله الناس، والغبار والطاحونة، والحية، وسمة في الفخذ، وشيء من ملابس النساء، والجد يضم بين قبيلتي أحياء العرب[13].

وطرق المشترك كثيرة منها: الاشتقاق، والنقل المجازي، والمشابهة، كما يقال مشى من المشي، ومشى إذا كثرت ماشيته. وفي القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ﴾ [الْقَمَر: 54- 55]، فقد جاءت كلمة (نهر) مفردة، والقياس أن تجيء جمعا ولهذا الإفراد عدة معان لا تفيدها لو جاءت جمعا والله أعلم.

- فمن معاني (النهر) أنها اسم جنس بمعنى: الأنهار وهو بمعنى الجمع.

- وجاء في لسان العرب أنّ (النهر) بمعنى: السعة[14] أي سعة الأرزاق والمنازل والعيش ومن معانيها أيضا الضياء[15].

وهذه المعاني كلها مرادة ومطلوبة، فإن المتقين في جنات وأنهار كثيرة جارية، وعموم ما يقتضي السعة، وفي ضياء ونور يتلألأ، ليس عندهم ليل ولا ظلمة، فانظر كيف جمعت هذه الكلمة هذه المعاني كلها، إضافة إلى ما تقتضيه موسيقى فواصل الآيات بخلاف ما لو قال (أنهار) فإنها لا تعني إلا شيئا واحدا[16].

ومنها أيضا قوله تعالى: ﴿لَا أُقْسِمُ بِهذَا الْبَلَدِ وَأَنْتَ حِلٌّ بِهذَا الْبَلَدِ﴾ [الْبَلَدِ:1-2]، فهنا عدول إلى صيغة (حل) دون (حال) كسب عدة معاني:

- أنّ كلمة (حل) تأتي بمعنى: الحال والمقيم[17]، وحَلَّ المكان وبالمكان يحل بضم الحاء وكسرها نزل فيه[18]، والمعنى المقصود: تعظيم المقسم به أي مكة المكرمة وذلك بسبب أن الرسول محمد ﷺ حل بها يوم فتحها فازدادت شرفا على شرف.
- أنّها تأتي بمعنى: اسم المفعول أي مستحل، فيكون المعنى: وأنت مستحل قتلك لا تراعى حرمتك في هذا البلد الحرام الذي يأمن فيه النّاس على دمائهم وأموالهم.
- ومن معانيها أيضا: الحلال، فيكون المعنى: وأنت حل بهذا البلد، يحل لك فيه قتل من شئت، وكان هذا يوم فتح مكة، فهو P حال بهذا البلد الكريم يبلغ رسالة ربه، بريء من أفعال الجاهلية، وقد استحلت حرمته، وأريد قتله في هذا البلد، وأنه حلال لهذا الرسول أن يقتل ويأسر في يوم الفتح مالا يحل لغيره.

فانظر كيف جمعت كلمة (حل) كل هذه المعاني بخلاف لو قال: (حال) أو (مقيم حلال) أو ما إلى ذلك مما يقتصر الكلام على معنى واحد، فإنها جمعت اسم الفاعل وهو (الحال)، واسم المفعول وهو (المستحل)، والمصدر وهو (الحلال) فانظر أي اتساع هذا[19].

ومنه قوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحاكِمِينَ﴾ [التين:8] فالتعبير بصيغة (أحكم الحاكمين) تحتمل وجهين:

أن تكون من الحكم أو من القضاء، وأنّ كل وجه له احتمالان: تحتمل أن تكون أقضى القضاة، وتحتمل أن تكون أقضى الحكماء، وأحكم القضاة وأحكم الحكماء، فكسبت بذلك أربعة معاني محتملة؛ لأنه لا توجد قرينة تنص على معنى من هذه المعاني وهذا من باب التعدد أو التوسع في المعنى[20].

ونحو قوله تعالى: ﴿قالُوا تَاللَّهِ تَفْتَؤُا تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضاً أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهالِكِينَ﴾ [يوسف: 85] فإن لفظة (تفتأ) من الناحية اللغوية: "فَتِئَ عنه، كَسمِعَ: نَسِيَهُ وانْقَذَع عنه، أو خاصٌّ بالجَحْد. و ﴿تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ﴾، أي: ما تَفْتَأُ. وكمنع: كَسَرَ، وأطْفَأَ"[21].

وقال فاضل صالح السامرائي: "ومن الغريب أن القياس أن يقال: لا تفتأ؛ لأن استعمالها نفي أو شبه نفي إذا لم تأت بـ (لا) فهو نفي قطعا، كقول الشاعر: (فلا والله أشربها حياتي) بمعنى: لا أشربها قطعا.
فاختيار هذا الفعل جمع المعاني التالية: إنك لا تنسى ذكره، ولا تسكن نفسك، ولا تكف عن ذكره، وإنّ النّار التي بين جوانحك لا تنطفئ. فجمع هذا الفعل هذه المعاني كلها وأنّه لا يسد فعل آخر مسده، ثم انظر هل يسد مسده (ما زال) و (مابرح) ونحوهما"[22].

2-2- الاشتراك في دلالة الصيغة: يوجد في العربية الكثير من الأبنية التي تشترك في الدلالة على أكثر من معنى، وهذا ما يحدث عادة في الكلمات التي تتحد صيغة أو نطقا في المشترك اللفظي، ومنها الكلمات التي تأتي على الأوزان التالية: (فَعيل – فَعَال - فُعُول - فَعول).

فالبناء (فعيل) يأتي في بعض التعبيرات وهو يحتمل دلالة المصدر، ودلالة الصفة المشبهة مثل كلمة (سميع) التي تحتمل معنى المصدر أو معنى الصفة المشبهة مثل: (قصير، طويل...).

والبناء (فَعَال)، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ﴾ [الزخرف: 26]، فكلمة (براء) تحتمل دلالة المصدر من باب المبالغة عن طريق الإخبار بالمصدر عن الذات، كما تحتمل معنى الصفة المشبهة مثل: (جواد، صناع).

والبناء (فُعُول) قد يجيء في التعبير الواحد بهذه الصيغة التي تجمع بين دلالة المصدر، ودلالة الجمع مثل: (قعود، جلوس).

ومثل الصيغ: (مفتون) و(ميسور) ومثيلاتها تحتمل المصدرية بمعنى: الفتنة واليسر، كما تحتمل أيضا اسم المفعول؛ قال تعالى: ﴿بِأَيِّكُمُ الْمَفْتُونُ﴾ [الْقَلَم: 6] فهي تحتمل المصدرية (الفتنة) وتحتمل معنى اسم المفعول أي: (المفتون) جاء في الكشاف في تفسير هذه الآية: "أهو: بأيكم الفتنة أي الجنون، أم أيكم المفتون أي المجنون والباء زائدة"[23]، وقال القرطبي: "والمفتون المجنون الذي فتنه الشيطان..."[24].

ومن ضروب الاشتراك في الصيغة أيضا: اشتراك عدة معان في صيغة واحدة كاشتراك اسم الفاعل، واسم المفعول، والمصدر الميمي، واسما المكان والزمان من غير الثلاثي فهي كلها تشترك في صيغة واحدة.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِلى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ﴾ [القيامة: 12]، فصيغة (مستقر) التي فعلها غير ثلاثي (استقر) تشترك في عدة معان، فهي تدل على المصدر بمعنى: (الاستقرار)، وتدل على اسم المكان أي: (مكان الاستقرار) ، وتفيد أيضا اسم الزمان بمعنى: (زمان الاستقرار). يقول الزمخشري في الكشاف في تفسير هذه الآية: "إلى ربك خاصة يومئذ مستقر العباد أي: استقرارهم يعني أنّهم لا يقدرون أن يستقروا إلى غيره وينصبوا، أو إلى حكمه ترجع أمور العباد لا يحكم فيه غيره كقوله تعالى: ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْواحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [غَافِر: 16]، أو إلى ربك مستقرهم أي موضع قرارهم من جنّة أو نار"[25].

وجاء في روح المعاني: "إليه جلّ وعلا وحده استقرار العباد، لا ملجأ ولا منجى لهم غيره"[26].

ويقول الدكتور فاضل السامرائي: "وجملة الأمر فإن كلمة (مستقر) أفادت ثلاثة معان مجتمعة: فهي تفيد زمان الاستقرار؛ أي وقت الفصل بين الخلائق، وسوقهم إلى مستقرهم عائد إلى مشيئته تعالى، فهم يمكثون في ذلك اليوم ما يشاء الله أن يمكثوا ثم يحكم وقت ذهابهم إلى موطن استقرارهم علاوة على ذلك ما تقتضيه الفاصلة في نهاية الآيات، ولا تغني كلمة أخرى عنها"[27].

ومن الاشتراك في الصيغة أيضا: الاشتراك في البناء للفاعل والبناء للمجهول، كقولنا: لا يشادَ زيد ولا يوادَ لئيم (بتشديد الدال في (يشاد ويواد)) فهذا يحتمل معنيين:

الأول: البناء للفاعل بمعنى: لا يُشادِد، ولا يُوادِد.

والثاني: بالبناء للمجهول أي: لا يُشادَد ولا يُوادَد. ولو أردنا معنى واحدا من المعنيين فإننا نفك الإدغام، فنقول: لا يشادِد زيد، ولا يوادِد لئيم، أو لا يُشادَد زيد، ولا يُوادَد لئيم.

ومثل هذا نجده في قوله تعالى: ﴿وَلا يُضَارَّ كاتِبٌ وَلا شَهِيدٌ﴾ [الْبَقَرَة: 282] فالتعبير بصيغة الفعل (يضار) يحتمل البناء للفاعل والبناء للمجهول.

جاء في البرهان في علوم القرآن:" قيل المراد: يضارِر، وقيل: يضارَر، أي: الكاتب والشهيد لا يضارر فيكتم الشهادة والخط... ويحتمل أن من دعا الكاتب الشهيد لا يضارر فيطلبه في وقت فيه ضرر، وكذلك قوله تعالى: ﴿لَا تُضَارَّ والِدَةٌ بِوَلَدِها﴾ [البقرة: 233] فعلى هذا يجوز أن يقال: أراد الله بهذا اللفظ كلا المعنيين على القولين"[28]. لكنه لو أراد معنى واحدا لفك الإدغام، كما في قوله تعالى: ﴿ذلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقابِ﴾ [الأنفال: 13].

ومن الاشتراك في دلالة الصيغ أيضا على وزن (فُعلَة) بمعنى اسم المفعول من ذلك مثلا: (لُعْنَة) إذا كان يُلعن كثيرا، وكذلك (صُرْعة) إذا كان يُصرَع كثيرا، وأيضا (سُبَّة) إذا كان يُسَب كثيرا، فمن ذلك ما نجده في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْراهِيمَ كانَ أُمَّةً قانِتاً لِلَّهِ حَنِيفاً وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [النَّحْل: 120]، فكلمة (أُمَّة) على وزن (فُعْلَة)، وقد احتملت معنيين:

- معنى جيل من النّاس أي أنّه كان في الفضل والفتوة والكمال عنده من الخير ما عند أمة؛ فيقال للرجل العالم: أمة ، والأمة: الرجل الجامع للخير وتطلق على الدين، قال الله تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدْنا آباءَنا عَلى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلى آثارِهِمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الزخرف: 22]، وتطلق على الزمان قال تعالى: ﴿وَقالَ الَّذِي نَجا مِنْهُما وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ﴾ [يوسف: 45]، وعلى هذا فمعنى كون إبراهيم كان أمة أنه كان معلما للخير، أو جامعا لخصال الخير، أو عالما بما علمه الله من الشرائع[29].

2-3- الجمع بين الألفاظ والصيغ ذات الدلالات المختلفة: وقد يجمع في التعبير الواحد بين الفعل واسم المصدر مما يؤدي إلى احتمال معنيين، وهذا من باب التعدد في المعنى، كمثل: (أعطيته عطاء حسنا) فإنّ له دلالتان:

معنى المصدر الذي يفهم من فعله المتقدم أعطى فيكون المعنى: (أعطيته إعطاء حسنا). ويحتمل الدلالة على الذات؛ أي: (أعطيته مالا حسنا)، ولكن لو جئنا بالمصدر إعطاء لم يكن للعبارة إلا المعنى الأول[30].

وفي القرآن الكريم كثير من مثل هذا التعبير، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَباتاً ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيها وَيُخْرِجُكُمْ إِخْراجاً﴾ [نوح: 17، 18]. فالملاحظ في هذه الآية الجمع بين الفعل (أنبت) واسم المصدر (نباتا) الذي فعله (نبت)، والأصل أن يقال (إنباتا)، وبهذا التعبير كسب معنيين:

- معنى المصدر أي أنبتكم فنبتم نباتا
- معنى الإنبات بدليل (أنبتكم)[31]، لكنه لو جاء بـ (إنباتا) لم يفيد إلا معنى الإنبات.

وأيضا في قوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً﴾ [الْبَقَرَة: 245] ـ لم يأت بمصدر الفعل الذي هو (الإقراض) بل جاء بمصدر الفعل (قرض) وهو (القرض)، ولذلك يحتمل:

- معنى الإقراض فيكون مفعولا مطلقا.
- ويحتمل ما يقرض من المال فيكون مفعولا به، والمعنيان مرادان وهما: الإقراض الحسن، والمال الحسن، ومعنى الإقراض الحسن أن يكون خالص النية لله محتسبا أجره عنده طيبة به نفسُه لا يمن ولا يكدر على آخذه ومعنى المال الحسن أن يكون حلالا طيبا[32].

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً﴾ [المزمل: 8]، فقد جمع في هذا التعبير الفعل (تَبتَّل) على وزن (تفعَّل) الدال على التدرج والتكلف مثل (تبصر) و(تعلم)، والمصدر (تبتيلا) الذي هو مصدر الفعل (بتَّل) الدال على التكثير والمبالغة مثل كسر وقطع...، فكسب بهذا التعبير معنيين فهو بدل أن يقول: (وتبتل إليه تبتلا، وبتل نفسك إليه تبتيلا) جاء بالفعل من صيغة للدلالة على معنى المصدر من صيغة أخرى ليفيد معنى آخر، ووضعهما وضعا فنيا فكسب المعنيين في آن واحد[33].

وفي قوله تعالى: ﴿وَيُرِيدُ الشَّيْطانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلالاً بَعِيداً﴾ [النساء: 60]، الملاحظ أنه جمع بين المصدر (ضلالا) الذي فعله (ضل) والفعل (أضل) الذي مصدره (الضلال) فأدى ذلك إلى احتمال معنيي: الضلال والإضلال في آن واحد، والمعنى: أن الشيطان يريد أن يضلهم، ثم يريدهم أن يضلوا هم بأنفسهم[34].

3- اكتساب المضاف صفة التذكير والتأنيث من المضاف إليه

إذا كان المضاف يصلح أن يحذف ويقيم المضاف إليه مقامه ويجري حكم المضاف إليه على المضاف في التذكير والتأنيث فإنه يريد بذلك أن ينتظمهما معا في الحكم ولا يخص المضاف وحده به، فيفيد هذا توسعا في المعنى؛ فإذا قلت: (جاء غلام زيد) لم يفد إلا معنى واحدا، وهو إثبات المجيء لغلام

زيد، لكن إذا قلت: (أفْنَتنا تَتابُع السنين) كان في تأنيث الفعل (أفنتنا) إشارة إلى أنك تريد السنين أيضا؛ فكأنك قلت: (أفنتنا السنُونُ وتَتابُعِها) وهذا توسع في المعنى لأنه كسب معنيين في تعبير واحد، ومنه أيضا قول الشاعر:

لَمَّا أَتَى خَبَرُ الزُّبَيْرِ تَوَاضَعَتْ ... سُورُ الْمَدِينَةِ وَالْجِبَالُ الْخُشَّعُ

القياس أن يقول: (تواضع) إلا أنه اكتسب صفة التأنيث من المضاف إليه، والمعنى أن سور المدينة تواضع وأيضا تواضعت معه المدينة. وفي القرآن الكريم كثير من هذه التعبيرات منها قوله تعالى: ﴿فَظَلَّتْ أَعْناقُهُمْ لَها خاضِعِينَ﴾ [الشُّعَرَاء: 4] فالقياس أن يقول: (خاضعة) لكن لما عبر بصيغة (خاضعين) أفاد معنيين:

الأول: ظلت الأعناق خاضعة.

الثاني: أصحاب هذه الأعناق أيضا هم خاضعون.

وقيل: إنما أراد أصحاب الأعناق فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه... والمعنى: أنهم إذا ذلت رقابهم ذلوا، فالإخبار عن الرقاب إخبار عن أصحابها.

ومنه أيضا قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الْأَعْرَاف: 56]، فالقياس أن يقال: (قريبة) لكنه قال: (قريب) فأدى ذلك إلى إفادة معنيين:

الأول: أنّ رحمة الله قريب من المحسنين.

الثاني: أنه سبحانه وتعالى قريب من المحسنين كما أخبر في آية أخرى: ﴿وَإِذا سَأَلَكَ عِبادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذا دَعانِ﴾ [الْبَقَرَة: 186]، وهذا توسع في المعنى لا يؤديه الأصل، فبدل أن يقال: إن رحمة الله قريب، والله قريب جمعه في أوجز تعبير[35].

وذكر العلماء أن تذكير قريب لأن الرحمة بمعنى الرحم، أو أنه صفة لمحذوف أي: أمر قريب أو لاكتسابه التذكير من المضاف إليه كما أن المضاف اكتسب التأنيث من المضاف إليه.

خاتمة:

التعدد في المعنى في التركيب الواحد سمة عامة في اللغة العربية، وهو أن اللفظ الواحد يؤدي عدة معان كما أن الجملة أيضا قد تحتمل عدة دلالات إذا لم توجد قرينة تخصص المعنى وتحدده، فتكون للجملة الواحدة عدة معاني، وهذا بحسب التقديرات الإعرابية والاحتمالية. وهو كثير الاستعمال في اللغة وفي القرآن الكريم. وهو موضوع جدير بالبحث؛ لأنه يؤدي إلى دقة التعبير عن المعاني المختلفة والكثيرة في أوجز تعبير، ويكشف عن المعاني الدقيقة في ثنايا التعبير القرآني. كما أنه يكشف عن كفاءة اللغة العربية من حيث سعتها التعبيرية عن المعاني الإنسانية.

قائمة المصادر والمراجع:

1- الألوسي (أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي 1270هـ)، روح المعاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط2، 1404هـ.

2- ابن الأنباري (أبو بكر محمد بن القاسم بن محمد بن بشار الأنباري 328هـ)، شرح القصائد السبع، (د.ط)، دار المعارف، مصر، 1993م.

3- ابن جني (أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي 392هـ)، الخصائص، تح: علي النجار، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1988م، ج3.

4- ابن رشيق (أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي، 456 هـ)، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تح: محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، لبنان، 1981، مج2.
5- الزَّبيدي (محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني المرتضى الزبيدي، 1205هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، تح: مجموعة من المؤلفين، دار الهداية، الكويت، د.ط، 1965م، ج1.
6- الزركشي بدر الدين (محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي أبو عبد الله، 794هـ)، البرهان في علوم القرآن، دار الفكر، بيروت، ط3، 1980م.
7- الزمخشري (القاسم جار الله محمود بن عمر538هـ)، الكشاف. مطبعة البابي الحلبي، بيروت، ط3، 1407هـ.
8- السيوطي جلال الدين، (عبد الرحمن بن كمال الدين أبي بكر بن محمد السيوطي، 911هـ)، المزهر في علوم اللغة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1998م. الإتقان في علوم القرآن، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط3، 1951، ج2.
9- الشوكاني (محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني، 1760هـ)، فتح القدير، دار الفكر، بيروت، ط2، 1409هـ.
10- الغزي (محمد بن محمد بن محمد، ت1061هـ)، إتقان ما يحسن من الأخبار على الألسن، تح: خليل محمد العربي، دار الفاروق الحديثة، القاهرة، ط1، 1415هـ، ج2.
11- فاضل صالح السامرائي. الجملة العربية والمعنى، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 2000م.
12- فايز الداية، علم الدلالة العربي (النظرية والتطبيق)، دار الفكر المعاصر، دمشق، ط2، 1996م.
13- الفيروزآبادى (مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب، ت 1410هـ)، القاموس المحيط، تح: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2005م، ج1.
14- القرطبي (أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري، 671هـ)، الجامع لأحكام القرآن، دار الشعب، القاهرة، ط2، 1372هـ.
15- محمد أحمد قدور، مبادئ اللسانيات، دار الفكر، دمشق، ط1، 1999م.
16- محمد جميل غازي. من مفردات القرآن، شركة الشهاب، الجزائر، ط1، د.ت.
17- ابن منظور، (محمد بن مكرم الإفريقي المصري، 711هـ)، لسان العرب، تح: عبد الرحمان محمد قاسم النجدي، دار صادر، ط1، بيروت، 1995م، ج7.
18- ابن هشام الأنصاري (عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد، جمال الدين)، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تح: مازن المبارك ومحمد علي، دار الفكر، دمشق، ط6، 1985م، ج2.

الهوامش

[1]- ينظر: السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن كمال الدين أبي بكر بن محمد، ت 911هـ)، الإتقان في علوم القرآن، ط3، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، 1951م، ج2، ص 153.

[2]- ابن رشيق (أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي، ت 456 هـ)، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تح: محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، لبنان، 1981، مج2، ص 93.

[3]- ينظر: ابن هشام الأنصاري (عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، ت761هـ)، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تح: مازن المبارك ومحمد علي، ط6، دار الفكر، دمشق، 1985م، ج2، ص 566.

[4]- ابن جني (أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي، ت 392هـ)، الخصائص، تح: علي النجار، ط1، عالم الكتب، بيروت، 1988م، ج3 - ص 166– 172.

[5]- الغزي (محمد بن محمد بن محمد، ت1061هـ)، إتقان ما يحسن من الأخبار على الألسن، تح: خليل محمد العربي، دار الفاروق الحديثة، القاهرة، ط1، 1415هـ، ج2، ص146.

[6]- القرطبي (أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، 671هـ)، الجامع لأحكام القرآن، دار الشعب، القاهرة، ط2، 1372هـ، ص143.

[7]- ينظر: محمد أحمد قدور، مبادئ اللسانيات، دار الفكر، دمشق، ط1، 1999م، ص 374، 375.

[8]- ينظر: الزَّبيدي (محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي)، تاج العروس، تح: مجموعة من المؤلفين، دار الهداية، الكويت، 1965م، ج1، ص26.

[9]- ينظر: السيوطي، المزهر في علوم اللغة، ج1، ص295.

[10]- ينظر: محمد أحمد قدور، ص378.
[11]- ينظر: السيوطي، المزهر في علوم اللغة، ج1، ص297.
[12]- ينظر: ابن الأنباري (أبو بكر محمد بن القاسم بن محمد بن بشار الأنباري 328هـ)، شرح القصائد السبع، (د.ط)، دار المعارف، مصر، 1993م، ص 593.
[13]- ينظر: فايز الداية، علم الدلالة العربي (النظرية والتطبيق)، ط2، دار الفكر المعاصر، دمشق، 1996م، ص 88.
[14]- ابن منظور (محمد بن مكرم الإفريقي المصري، ت 711هـ)، لسان العرب، تح: عبد الرحمان محمد قاسم النجدي، دار صادر، بيروت، ط1، 1995، مادة (ن هـ ر)، ج7، ص 96.
[15]- الزمخشري، (القاسم جار الله محمود بن عمر538هـ)، الكشاف، مطبعة البابي الحلبي، بيروت، ط3، 1407هـ، ج3، ص 186.
[16]- ينظر: فاضل صالح السامرائي، الجملة العربية والمعنى، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 2000م، ص167.
[17]- الألوسي، (أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي، 1270هـ)، روح المعاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط2، 1404هـ، ج30، ص134.
[18]- محمد جميل غازي. من مفردات القرآن، شركة الشهاب، ط1، الجزائر، ص24.
[19]- ينظر: فاضل صالح السامرائي، ص168.
[20]- ينظر: نفسه، نفس الموضع.
[21]- الفيروزآبادى (مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب ت 1410هـ)، القاموس المحيط، تح: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2005، ج1، ص48.
[22]- فاضل صالح السامرائي، ص168.
[23]- الزمخشري، الكشاف، ج3، ص256.
[24]- القرطبي، ج18، ص229.
[25]- الزمخشري، ج3، ص293.
[26]- الألوسي، ج29، ص140.
[27]- ينظر: فاضل صالح السامرائي، ص173.
[28]- الزركشي بدر الدين (بو عبد الله، بدر الدين، محمد بن بَهادُر بن عبد الله الزَّرْكَشِيّ المصري، ت 794هـ)، البرهان في علوم القرآن، دار الفكر، بيروت، ط3، 1980م، ص 207، 208.
[29]- الشوكاني محمد بن علي. فتح القدير، دار الفكر، بيروت، ط2، 1409هـ، ج3، ص202.
[30]- فاضل صالح السامرائي، ص174.
[31]- الزمخشري، الكشاف، ج4، ص163.
[32]- ينظر: فاضل صالح السامرائي، ص175.
[33]- فاضل صالح السامرائي، ص 176.
[34]- ينظر: نفسه، ص175.
[35]- ينظر: نفسه، ص193.